(٥) الغزو فى سبيل الله والعمل على نشر الدعوة ، وتنظيم شئون المسلمين

(٦) التهيؤ لفهم الأغراض الجديدة والأفكار الحديثة وهضمها حتى تتجاوب مع سليقتهم فيواتيهم فيها الشعر رصينا بليغا .

(ب) انتعاش الشعر فى عصر بنى أمية وأسبابه : —

مضى عصر النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ولا يكاد يكون فى العرب مشرك ، بل اجتمعت كلمتهم على دين الاسلام ، واستقرت بهم الحياة حتى انتزع الخلافة بنو أمية من الهاشميين فعادت الخصومة بين العرب جذعة ولكنها كانت خصومة تختلف عن سابقتها ، لأنها خصومة سياسية فى ظل عقيدة واحدة ، وتحت راية واحدة هى عقيدة التوحيد ؛ وراية الاسلام ، وكان من الضرورى أن يكون لكل حزب شيعة وأنصار فافترقت الأمة فرقا وأنصارا ، وشيعا وأحزابا ، فالهاشميون ومعهم شيعتهم وقفوا فى جانب يناوئون الأمويين ويناهضونهم لأنهم غصبوا حقهم والأمويون ومعهم أنصارهم الطامعون فى ذهبهم وفضتهم وأقطاعهم وقفوا فى جانب آخر والخوارج الحانقون يرون كفر الطائفتين واستحلال أموالهم ونسائهم ودمائهم ، والزبيريون أتباع عبدالله بن الزبير خلعوا طاعة بنى أمية من أعناقهم وناصبوهم الحرب ، وكل فرقة من هذه الفرق تزعم أن الحق معها ولكنها فى حاجة الى استمالة الرأى العام لينصرها على خصومها وأنى لصوتها أن يبلغ آفاق المملكة الاسلامية فى أطرافها المترامية ؟ ولا صحافة ..

ولا برق والنفوس لا تزال قريبة عهد ببداوة والأعراب لايزالون فى أحضان الصحراء مقيمين ولاتزال أخلاق البداوة كامنة فيهم والشعر أحب إلى نفوسهم وأنفذ أثرا فيها والاحقاد القديمة لايزال أوراها دفينا فى رماد المداراة والمداورة ، والأموال قد كثرت فى أيدى القادة والولاة والرؤساء والسيف لايفصل الا إذا أهلك ونفوس الشعراء لم تكن كعهدها فى الجاهلية شريفة تترفع عن الأستئجار بالشعر ولكنها تعبدت للدنيا وتطلعت الى العطاء ، إذافلتتخذ كل فرقة ألسنة من الشعراء يدافعون عنها وعن فكرتها ويهجون خصومها ويردون على مذاهبهم وأفكارهم اوينشرون ذلك فى الآفاق ، والشعر أسير مايكون من الكلام فلتحرك الاحن القديمة والعداوات الموروثة . مضرية وقحطانية وبكرية وربعية ، وتميمية وتغلبية وهاشمية وأموية نعرات جاهلية تحركت فى النفوس واستنصر كل حزب بمن استماله من هذه القبائل المجتمعة ، وهناك قوم أخلصوا للحق فوقفوا أنفسهم للدفاع عنه من ذرية المهاجرين والأنصار والى جانبهم آخرون اعتزلوا الناس وتركوا السياسة وقبعوا فى المساجد والبيوت يتعبدون ويتدارسون القرآن وحديث الرسول ويستنبطون منهما علما وفقها غير آبهين بتلك الفتن الجائحة التى أكلت المسلمين أكلا ، وهصرت قناتهم وأعادت عليهم الجاهلية الأولى

والى جانب هؤلاء فريق آخر يضامن أبناء المهاجرين والأنصار أو من يرى رأيهما اعتزل السياسة جانبا أو تجهمها فى غير وجههاونعنى بهؤلاء

وبأمثالهم طائفة الغزلين الذين قبعوا فى ديارهم بين متعلل بالغزل متشاغل ومنصرف اليه بقلبه وعاطفته وقد حيل بين الجميع وبين السياسة العامة التى لايستطاع غزوها الا فى الشام عاصمة الخلافة يومئذ ولا فى العراق الطافح بالجدال المذهبى والنضال السياسى ، فكان أشباه عمر بن أبى ربيعة . وجميل وكثير ، وعروة وابن قيس الرقيات سواء من تبدى أو تحضر

ولنعد إلى ذلك النزاع العنيف فنجده قد أرجع الأمة العربية — أو كاد — الى قديمها من العصبية القبلية ، والتفاخر بالمآثر صنع الجاهلية الى ما كان لهم من حزوب وفتن ، ومحامد ومثالب تحز فى أحسابهم وأنسابهم وهى أزهى وأوجع شىء عند العربى !! فانتهز خلفاء الأمويين وولاتهم وزعماء الاحزاب الأخرى هذه الفرصة التى هيئوها أو هيأتها لهم سياستهم فقربوا الشعراء وأدنوهم منهم ، وأغدقوا عليهم العطايا والمثوبات ، بل جعلوا لهم حقوقا فى بيت مال المسلمين ، رضى الناس أم كرهوا ، وأغروهم بالمناقضات ، والتهاجى واستمعوا الى مدائحهم ، واهتزوا لها طربا ، فهذا عبد الملك بن مروان يدخل عليه جرير فينشده مدحته فيه حتى إذا أتى على قوله :

ألستم خير من ركب المطايا    وأندى العالمين بطون راح

اعتدل عبد الملك وكان متكئا وقال : هكذا تمدح الملوك : من أراد أن يمدحنا بمثل هذا فليفعل ، وهذا يزيد بن معاوية يحرض الأخطل فيهجو الأنصار بقصيدته التى يقول فيها :

ذهبت قريش بالمكارم كلها    واللؤم تحت عمائم الأنصار

ولقد زاد العناية بالشعر فى هذا العصر ما كان للخلفاء وأولادهم وولاتهم من البصر به ومعرفة جيده وتقدير قيمته . روى أن عبيدالله ابن قيس الرقيات دخل على عبد الملك بن مروان بعد أن رضى عنه ، وكان من شيعة ابن الزبير فمدحه بقوله :

ان الأغر الذى أبوه أبو العا    صى عليه الوقار والحجب

يعتدل التاج فوق مفرقه    على جبين كأنه الذهب

فلا يرضى هذا المديح عبد الملك فيقول للشاعر : تمدحنى بالتاج كأنى من ملوك العجم وتقول فى مصعب : —

إنما مصعب شهاب من اللـه تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك عزة ليس فيه    جبروت منه ولا كبرياء

وقدتنافس الملوك والأمراء فى الشعراء والاختصاص بهم حتى أصبح لكل واحد شاعر استصفاه لمدحه وهجاء أعدائه ، لايرضى منه أن يشرك معه غيره حتى ولو كان من المقربين إليه ، وعليه أن يغنيه بالمال

وقد كان من أثر عناية الخاصة بالشعر ودره الارزاق على الشعراء أن اتجه علماء اللغة الى نقده وروايته والمفاضلة بين شاعر وشاعر إما لحاجة العلم والأدب ، وشرح آيات القرآن وغريب الحديث ، وإما تقربا إلى الشعراء وهم بطانات الملوك المقربون لديهم ، وذووشفاعتهم ، والنضال الأدبى فى المربد بالبصرة بين جرير والفرزدق والأخطل

مشهور معروف ، وسنحدثك عن بعضه عند التعريف بهم

وفى الحق أن هذا العصر كان عصر نهضة خصبة للشعر العربى الخالص ، فجوداه الشعراء ، ونقده العلماء ، ورواه الأمراء ، وأصبح حرفة يعيش من ورائها عشرات الناس عيشة رغد ورفه ؛ ونحن نجمل لك أسباب انتعاش الشعر ونهضته فى عصر بنى أمية فيما يأتى : —

(١) حدوث الفتن واختلاف الآراء بعد اجتماع العرب قاطبة تحت راية الاسلام

(٢) نشأة الأحزاب السياسية والفرق المذهبية مما دعا كل حزب الى الانتصار ببعض الشعراء يذيعون محاسنه ويناخون عنه .

(٣) تقريب الملوك للشعراء وفرض الأعطيات الكثيرة لهم

(٤) إحياء العصبيات القديمة التى تقوم على مظاهر الجاهلية ومآثرها

(٥) التنافس بين الشعراء فى الاجادة والفوق .

(٦) نقد العلماء للشعر والموازنة بين الشعراء

(٧) شيوع التكسب بالشعر وجعله حرفة تدر الرزق على صاحبها

(٨) سعة الحياة وغضارة العيش أمام طائفة من الشبان المؤمنين الذين جعلوا الجمال هدفهم فى أشعارهم فوصفوه

(٩) يأس طائفة من السياسة العملية العامة فطفقوا يتغزلون حتى أحدثوا لنا فنا مستقلا نعنى به (فن الغزل)

أغراض الشعر — معانيه — أخيلته — ألفاظه وأسلوبه

نظنك قد أخذت فكرة عامة عن الشعر فى هذا العصر الزاخر تستطيع بها أن تسايرنا فى تفهم أغراضه ومعانيه ، وأخيلته ، وألفاظه وأسلوبه : فأما أغراضه ومعانيه فهى أغراض الشعر الجاهلى عند شعراء المشركين والمخضرمين من أعراب البادية كالحطيئة والشماخ بن ضرار ، وأما عند مخضرمى المدن ممن خالط الاسلام بشاشة قلوبهم كحسان فهى تلك الاغراض أيضا إلا ماحرمه الاسلام منها كوصف الخمر ومجالسها وقيانها والتفاخر بالميسر ، والكذب والافحاش ، وهى كذلك عند الذين نشأوا فى حضن الاسلام كعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك فكان المدح والهجاء عند الطائفة الأولى لم يخرجا عن نهجهما فى الجاهلية أما الطائفة الثانية ، فانها ترفعت عن الملق فى المديح والمبالغة الكاذبة ، وتنزهت عن الاقذاع فى الهجاء والقذف بالباطل ، وكان الغزل من الأغراض التى احتفظ بها الشعراء بل صيروه فنا بعد ، ولكنه لم يكن فاحشا كما كان فى الجاهلية ، بل عفيفا ، أومهذبا فى كناياته إلا نحو ماقلد فيه عمر بن أبى ربيعة أستاذه أمرأ القيس وكان الرثاء كذلك من الأغراض التى ظلت تنال عناية الشعراء البالغة ، وبحسبك الخنساء فى هذا الباب

هناك أغراض استحدثت تبعا للحياة الجديدة كتأييد الدعوة إلى الاسلام على طريقة القرآن الكريم ، والحث على التقوى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والوعظ ، والحض على الجهاد والترغيب فى ثواب الآخرة ، وكالوصف لماجد أمامهم من مظاهر الحياة كالمعاقل

والحصون وآلات الحرب .

( أما معانيه ) فكانت منتزعة من حياتهم الجديدة ، فكان المدح مظهره شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة خلفائه وفضائل الاسلام والاستمساك بأوامره ، والشجاعة والكرم والعلم والأدب والقيام باعباء الملك وقهر الأعداء ، وكان الرثاء مظهره الاستشهاد فى سبيل الله ، وتعداد ما كان للمرثى من مناقب إسلامية ، وكان الهجاء مظهره التعيير بالكفر والوثنية والحرمان من رضاء الله تعالى وثوابه ، وهذا كثر فى شعر عبد الله بن رواحة ، ولذلك قيل ان هجاءه كان أهون على مشركى مكة قبل إسلامهم ، وكان هجاء حسان أوجع لهم . فلما أسلموا كان هجاء ابن رواحة أشد عليهم من هجاء حسان ، وقد تعفف أكثرهم فى غزلهم فلم يذكروا من مواطن جمال المرأة إلا ما يحسن ذكره ، ورددوا أحاديث الشوق والدلال والرقيب والمواعيد والمناجاة الخ ، وهذا كله كان أمكن فى صدر العصر ، أما بعد إحياء العصبيات عند الأمويين فقد عادت للشعر أغراضه ومعانيه الأولى فى المدح والهجاء والرثاء ، وذلك تراه ماثلا فى شعر جرير والفرزدق والأخطل والراعى النميرى .

أما أخيلته فهى وإن لم تكن على مثال أخيلة الشعر الجاهلى من حيث التصوير وربط الفكرة والتفنن فى الاستعارات لكنها لم تتسع اتساعا يجعل لها خصيصة تسمو بها كثيرا عن الشعر الجاهلى . نعم أنهم تأثروا تأثرا كبيرا بتصوير القرآن الكريم للمعانى فجروا فى ذلك شوطا واستحدثوا بعض الأخيلة . روى أن عدى بن الرقاع دخل على عبد الملك

ابن مروان فانشده قصيدة يمدحه بها ، وفى المجلس جرير فلما جاء الى وصف ظبية قال : تزجى أغن كأن إبرة روقه ... قال جرير :وقع والله ماعساه أن يقول ؟ فقال :قلم أصاب من الدواة مدادها ، فقام جرير من المجلس حسدا له على هذا التشبيه الخيالى البديع ، فهذا نوع من الخيال أكسبتهم إياه الحضارة ، وما شاهدوه من بدائع جديدة

أما ألفاظه فهى ألفاظ السليقة المهذبة لاتجد فيها من حوشى الكلمات إلا النادر ، بل إنك لتجدها عذبة لطيفة مع جزالة وحلاوة جرس تأثرا بالفاظ القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وخطبه ومواعظه إلا ماتراه فى نوع الرجز من الشعر ، فانه فن بدوى فى ألفاظه

أما أسلوبه فهو أصح أسلوب وأحسنه جمع بين الجزالة والفخامة مع الرقة والانسجام وجمال الاستعارة ولطف الكناية من طول ما تمرسوا بتلاوة القرآن وفهمه ، وما سمعوا من بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم فرقت حواشى شعرهم ،وهذبت عبارته إذا استثنينا الرجز وهاك الأغراض مجملة مع نماذج لكل مانذكر

(١) المدح : وقد كان فى مبدأ العصر فى غير شعر مخضرمى البادية يدور حول الهدايه إلى الدين على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فضائله وفضائل أصحابه والفخر بالشجاعة والجهاد فى سبيل الله

قال النابغة الجعدى يمدح رسول الله من قصيدة مطلعها

خليلى عوجا ساعة وتهجرا      ولوما على ما أحدث الدهر أوزرا

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
أقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أحذرا

وقال أبو دهبل الجمحى يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

إن البيوت معادن فنجاره ذهب وكل بيوته ضخم
عقم النساء فما يلدن شبيهه ان النساء بمثله عقم
متهلل بنعم بلا متباعد سيان منه الوفر والعدم
نزر الكلام من الحياء تخاله ضمنا وليس بجسمه سقم

وقال حسان بن ثابت يمدح الزبير بن العوام

أقام على عهد النبي وهديه حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه يوالى ولى الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذى يصول إذا ما كان يوم محجل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها بابيض سباق الى الموت يرقل
وان امرأ كانت صفية أمه ومن أسد فى بيتها لمرفل
له من رسول الله قربى قريبة ومن نصرة الاسلام مجد مؤثل
فكم كربة ذب الزبير بسيفه عن المصطفى والله يعطى فيجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس يكون الدهر مادام يذبل
ثناؤك خير من مقال معاشر وفعلك يا ابن الهاشمية افضل

والمدح فى شعر مخضرمى البادية جاهلى فى مناحيه . قال الحطيئة يمدح شماس بن لأى :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
أقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أحذرا

وقال أبو دهبل الجمحى يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

إن البيوت معادن فنجاره ذهب وكل بيوته ضخم
عقم النساء فما يلدن شبيهه ان النساء بمثله عقم
متهلل بنعم بلا متباعد سيان منه الوفر والعدم
نزر الكلام من الحياء تخاله ضمنا وليس بجسمه سقم

وقال حسان بن ثابت يمدح الزبير بن العوام

أقام على عهد النبي وهديه حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه يوالى ولى الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذى يصول إذا ماكان يوم محجل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها بابيض سباق الى الموت يرقل
وان امرأ كانت صفية أمه ومن أسد فى بيتها لمرفل
له من رسول الله قربى قريبة ومن نصرة الاسلام مجد مؤثل
فكم كربة ذب الزبير بسيفه عن المصطفى والله يعطى فيجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس يكون الدهر مادام يذبل
ثناؤك خير من مقال معاشر وفعلك ياابن الهاشمية افضل

والمدح فى شعر مخضرمى البادية جاهلى فى مناحيه . قال الحطيئة يمدح شماس بن لأى :

ألا طرقتنا بعد ماهجعوا هند … وقد سرنا خمسا واتلأب بنا نجد
ألا حبذا هند وأرض بها هند … وهند أتى من دونها النأى والبعد
وهند أتى من دونها ذو غوارب … يقمص بالبوصى معرورف ورد
وإن التى نكبتها عن معاشر … على غضاب أن صددت كما صدوا
أتت آل شماس بن لأى وإنما … أتاهم بها الأحلام والحسب العد
فان الشقى من تعادى صدورهم … وذوا الجد من لانوا إليه ومن ودوا
يسوسون أحلاما بعيدا أناتها … وإن غضبوا جاء الحفيظة والحد
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم … من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا … وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها … وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وإن قال مولاهم على جل حادث … من الدهر ردوا بعض أحلامكم ردوا
وإن غاب عن لأى بغيض كفتهم … نواشىء لم تطرر شواربهم مرد
مطاعين فى الهيجا مكاشيف للدجى … بنى لهم آباؤهم وبنى الجد

وقال القطامى يمدح زفر القيسى وقد عفا عنه بعد أن أسره

من مبلغ زفر القيسى مدحته … من القطامى قولا غير إفناد ؟ (١)
إنى وإن كان قومى ليس بينهم … وبين قومك إلا ضربة الهادى (٢)

---

(١) زفر : رئيس قبيلة قيس المعادية لقبيلة الشاعر . والقطامى : بضم القاف هو عمير من تغلب قيل أنه ابن أخت الأخطل ، فهو شاعر مجود : ولاسيما فى الفخر والحماسة وله غزل رقيق — وإلا فناد الكذب :

(٢) الهادى : النصل .

مَنٌّ عليك بـما استبقت معرفتي ... وقد تعرض مني مقتل بادي (١)

فلن أثيبـك بالنعماء مشتمـة ... ولن أبدل إحسانا بإفساد

فان هجوتك ماتت مكارمتي ... وإن مدحت لقد أحسنت إصفادي (٢)

قتلت بكرا وكلبا واشتليت بنا ... وقد أردت بأن يستجمع الوادي (٣)

لولا كتائب من عمرو تصول بـها ... أرديت ياخـير من يندو له النادي (٤)

إذ الفوارس من قيس بشكتهم ... حولي شهود وماقومي بشهاد (٥)

إذ يعتريك رجال يسألون دمي ... ولو أطعتهم أبكيت عوادي

فقد عصيتهم والحرب مقبلة ... لا، بل قدحت زنادا غير صلاد (٦)

---

(١) يقول : إني مادحك لا بقائك على لسابق معرفتك إياي وقد انكشف لك في موضع قتل واضح

(٢) المكارمة : المفاخرة – إصفادي : اعطياتك إياي

(٣) اشتليت بنا : تداركت الأمر بنا – وقد أردت الخ يريد : أنك رغبت أن يتم لك مايسرك قبلنا

(٤) أرديت : أهلكت . ياخيرمن يندوا . ياخير من يجتمع الناس اليه للتحدث والاستشارة – والنادي : المجلس

(٥) الشكة السلاح . والشهود : الحضور .

(٦) غير صلاد : لا يوري ولا يخرج نارا . يريد : لقد أحسنت إلى رجل يحسن الجميل ويحفظه .

والصيد آل نفيل خير قومهم … عند الشتاء إذا ماضن بالزاد (١)

وفى الفخر للنابغة الجعدى

وننكر يوم الروع ألوان خيلنا … من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا

ونحن أناس لانعود خيلنا … إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا

وما كان معروفا لنا أن نردها … صحاحا ولا مستنكرا أن تعقرا

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا … وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

والزبرقان بن بدر . وكان قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد تميم :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا … منا الملوك وفينا يقسم الربع

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا … من الشواء إذا لم يؤنس القزع

وقال الفرزدق : —

يرى كل مظلوم الينا فراره … ويهرب منا جهده كل ظالم

فانا أناس نشترى بدمائنا … ديار المنايا رغبة فى المكارم

إذا ماوزنا بالجبال رأيتنا … نميل بانضاد الجبال الأضاخم

وقال أيضا : —

وإنا لترعى الوحش آمنة بنا … ويرهبنا أن نغضب الثقلان

فضلنا بثنتين المعاشر كلهم … بأعظم أحلام لنا وجفان

جبال إذا شدوا الحبى من ورائهم … وجن إذا طاروا بكل عنان

(١) الصيد : جمع أصيد وهو العظيم الشامخ بأنفه أو الملك . وآل نفيل هم آل الممدوح يصفهم بالكرم في الشتاء حين يبخل غيرهم

وقال حسان :ـ

فنحن الذرى من نسل آدم والعرى تربع فينا المجد حتى تأثلا
بنى المجد بيتا فاستقرت عماده علينا فأعيا الناس أن يتحولا
فانك لن تلقى من الناس معشرا أعز من الأنصار عزا وافضلا

الحماسة :ـ

قال قطرى بن الفجاءة فى يوم (دولاب) بين الخوارج والبصريين

لعمرك إنى فى الحياة لزاهد وفى العيش، مالم ألق أم حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها شفاء لذى بث ولا لسقيم
لعمرك إنى يوم ألطم وجهها على نائبات الدهر جد لئيم
ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت طعان فتى فى الحرب غير ذميم
غداة طفت ع الماء(١) بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول جدها وأحلافها من يحصب وسليم
فلم أر يوما كان أكثر مقعصا يمج دما من فائظ وكليم (٢)
وضاربة خدا كريما على فتى أغر نجيب الأمهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطنا له أرض دولاب ودير حميم (٣)
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

(١) ع الماء : أصله على الماء حذفت احدى اللامين تخفيفا
(٢) مقعصا مقتلا . والفائظ الميت .
(٣) دولاب قرية بالاهواز . ودير حميم موضع هناك

الهجاء : — قال جرير

ولو ان تغلب جمعت أحسابها يوم التفاضل لم تزن مثقالا
لاتطلبن خؤولة فى تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا
والتغلبي إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الأمثال

وقال يتوعد بنى حنيفة قوم مسيلمة الكذاب

أبنى حنيفة نهنهوا سفهاءكم إنى أخاف عليكم أن أغضبا
أبنى حنيفة إننى إن اهجكم ادع اليمامة لاتوارى ارنبا

وقال الأخطل يهجو الأنصار :

ذهبت قريش بالسماحه والندى واللؤم تحت عمائم الأنصار
فدعوا المكارم لستمو من أهلها وخذوا مساحيكم بنى النجار

الوصف:

قال حصين بن معاوية يصف بيضة نعام حضنها ظليم بالليل وتركها عند طلوع الشمس ينتفض :—

وما بيضه بات الظليم يحفها بوعساء أعلى تربها قد تلبدا
فلما علته الشمس فى يوم طلقة وأشرف مكاء الضحى فتغردا
أراد قياما فازبأر حفاؤه وحرك أعلى جيده فتأودا
وهزجنا حيه فساقط جيده فراشا وهى عن متنه فتبددا
فغادر فى الأدحى صفراء تركة هجانا إذا ماالشرق فيها توقدا
بالين مسامن سعاد للامس وأحسن منها حين تبدى مجردا

الهجاء : — قال جرير

ولو ان تغلب جمعت أحسابها　　يوم التفاضل لم تزن مثقالا

لاتطلبن خؤولة فى تغلب　　فالزنج أكرم منهم أخوالا

والتغلبى إذا تنحنح للقرى　　حك استه وتمثل الأمثال

وقال يتوعد بنى حنيفة قوم مسيلمة الكذاب

أبنى حنيفة نهنهوا سفهاءكم　　إنى أخاف عليكم أن أغضبا

أبنى حنيفة إننى إن اهجكم　　ادع اليمامة لاتوارى ارنبا

وقال الأخطل يهجو الأنصار :

ذهبت قريش بالسماحه والندى　　واللؤم تحت عمائم الأنصار

فدعوا المكارم لستمو من أهلها　　وخذوا مساحيكم بنى النجار

الوصف:

قال حصين بن معاوية يصف بيضة نعام حضنها ظليم بالليل وتركها عند طلوع الشمس ينتفض :—

وما بيضه بات الظليم يحفها　　بوعساء أعلى تربها قد تلبدا

فلما علته الشمس فى يوم طلقة　　وأشرف مكاء الضحى فتغردا

أراد قياما فازبأر ففاؤه　　وحرك أعلى جيده فتأودا

وهزجنا حيه فساقط جيده　　فراشا وهى عن متنه فتبددا

فغادر فى الأدحى صفراء تركة　　هجانا إذا ماالشرق فيها توقدا

باللين مسامن سعاد للامس　　وأحسن منها حين تبدى مجردا

وقال الفرزدق يصف ذئبا صادفه أثناء سفره فأشركه زاده

وأطلس عسال وما كان صاحبا دعوت لنارى موهنا فأتانى
فلما أتى قلت ادن ، دونك إننى وأياك فى زادى لمشتركان
فبت أقـد الزد بينى وبينه على ضوء نار مرة ودخان
وقلت له لما تكشر ضاحكا ! ، وقائم سيفى من يدى بمكان
تغش ، فان عاهدتنى لا تخوننى
نكن مثل من — ياذئب — يصطلحان
وأنت امرؤ — ياذئب — والغدر كنتما أخيـين كانا ارضعا بلبان

الرثاء : —

قالت الخنساء ترثى أخاها صخرا

قذى بعينك أم بالعين عوار أم ذرفت أن خلت من أهلها الدار
كأن عينى لذكراه إذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكى خناس فما تنفك أذ عمرت لها عليه رنين وهى معبار
تبكى خناس على صخر وحق لها إذ رابها الدهر ان الدهر ضرار
لابد من ميتة فى صرفها عبر والدهر فى صرفه حول وأطوار
ياصخر وراد ماء قد تناذره أهل الموارد مافى ورده عار
فما عجول على بوّ تطوف به لها حنينان إصغار واكبار
ترتع مارتعت حتى إذا ادكرت فانما هى اقبال وادبار
لاتسمن الدهر فى أرض وان ربعت فانما هى تحنان وتسجار
يوما بأوجد منى يوم فارقنى صخر ، وللدهر إحلاء وامرار

وقال أعشى باهله يرثى المنتشر

إنى أتتنى لسان لا أسر بها ... من عل لاعجب منها ولاسخر (١)
فبت مرتفقا للنجم أرقبه ... حيران ذا حذر لو ينفع الحذر
فجاشت النفس لما جاء جمعهم ... وراكب جاء من تثليث معتمر (٢)
يأتى على الناس لايلوى على أحد ... حتى التقينا وكانت دوننا مضر
ينعى امرأ لاتغب الحى جفنته ... إذا الكواكب أخطا نوءها المطر
من ليس فى خيره شر يكدره ... على الصديق ولا فى صفوه كدر
طاوى المصير على العزاء منصلت ... بالقوم ليلة لاماء ولاشجر (٣)
لاتنكر البازل الكوماء ضربته ... بالمشرفى إذا ما أجلوذ السفر (٤)
وتفزع الشول منه حين تبصره ... حتى تقطع فى أعناقها الجزر

وقالت ليلى الأخيلية ترثى توبة بن الحمير العقيلى الخفاجى

أعينى ألا فابكى على بن حمير ... بدمع كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة ... بماء شئون العبرة المتحدر
سمعن بهيجا أزحفت فذكرنه ... وقد يبعث الأحزان طول التذكر

---

(١) أراد باللسان الرسالة . لذلك أنث
(٢) جاشت تحركت جزعا وتثليث مكان
(٣) منصلت . يقال سيف منصلت وصلت اذا جرد من غمده وقوله لاماء ولا شجر يريد القفر ووقت الصعوبة والشدة
(٤) البازل الكوماء الناقة العظيمة والمشرفى السيف واجلوذ امتد

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ ... بنجد ولم يطلع مع المتغور
ولم يرد الماء السدام إذا بدا ... سنا الصبح فى أعقاب أخضر مدبر (١)
ولم يقدع الخصم الألد ويملأ ا ... لجفان سديفا يوم نكباء صرصر (٢)
ألا رب مكروب أجبت وخائف ... أجرت ومعروف لديك ومنكر
فياتوب للمولى ويا توب للندى ... ويا توب للمستنبح المتنور

العتاب — قال يزيد بن الحكم الثقفى يعاتب ابن عمه .

تكاشرنى كرها كأنك ناصح ... وعينك تبدى ان صدرك لى دوى (٣)
لسانك ماذى وغيبك علقم ... وشرك مبسوط وخيرك منطوى (٤)
فليت كفافا كان خيرك كله ... وشرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى
عدوك يخشى صولتى إن لقيته ... وأنت عدوى ليس ذاك بمستوى
تصافح من لاقيت لى ذا عداوة ... صفاحا وعنى بين عينيك منزوى
أراك إذا لم أهو أمرا هويته ... ولست لما اهوى من الأمر بالهوى
أراك اجتويت الخير منى واجتوى ... أذاك فكل يجتوى قرب مجتوى (٥)

---

(١) يقال ماء سدام طويل العهد بالشاربة
(٢) القدع : الكف ، والسديف : قطع سنام الابل
« ٣ » دوى : شديد العداوة والبغض
« ٤ » الماذى : العسل الأبيض
« ٥ » اجتويت الخ . أبغضت ـ يقال اجتوى القوم إذا أبغضهم . والمجتوى المبغض

إذا ما ابتلى المجد ابن عمك لم تعن … وقلت ألا ليت بنيانه خوى (١)
تملأت من غيظ على فلم يزل … بك الغيظ حتى كدت بالغيظ تنشوى
ومابرحت نفس حسود حسبتها … تذيبك حتى قيل هل انت مكتوى

وقال سيار بن هبيرة يعاتب أخويه خالدا وزيادا

أرى أخوى اليوم شحا كلاهما … على وهما أن يقولا الدواهيا
يؤذننى هـذا ويمنع فضـله … وهذا كمعن أو أشد تقاضيا (٢)
لقد كان فى أيديكمو ذو حواشة … فآليت لا تعطيـه إلا مفاديا
تحلل هـداك الله ربى ألا ترى … تخاذل إخـوانى وقـلة ماليـا
وعض زمان عض بالناس لم يدع … شريدا من المال إلا عناصيا
وإنى لعف الفقر مشـترك الغنى … سريع إذا لم أرض دارى احتماليا
كلانا غنى عن أخيـه حيـاته … ونحن إذا متنا أشـد تغانيا

فى الغزل : قال عدى بن الرقاع

كأنها وسط النساء أعارها … عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت … فى طرفه سنة وليس بنائم

وقال عروة بن حزام

وإنى لتعرونى لذكراك روعة … لها بين جلدى والعظام دبيب
وماهـو إلا أن أراها فجاءة … فأبهت حتى ما أكاد أجيب
وأصرف عن رأيى الذى كنت ارتئى … وأنسى الذى عـددت حـين تغيب

---

(١) خوت الدار. خربت وكذلك خوت (٢) يؤذننى : يحرمنى

ويظهر قلبي عذرها ويعينها ... على فمالى فى الفؤاد نصيب

وقد علمت نفسى مكان شفائها ... قريبا وهل مالا ينال قريب

لئن كان برد الماء أبيض صافيا ... إلى حبيبا إنها لحبيب

وقال القطامى :

ما للكواعب ؟ ودعن الحياة كما ... ودعننى ، واتخذن الشيب ميعادى

أبصارهن إلى الشبان مائلة ... وقد أراهن عنى غير صداد

وفى الخدود غمامات برقن لنا ... حتى تصيدننا من كل مصطاد

يقتلننا بحديث ليس يعلمه ... من يتقين ولا مكنونه باد

فهن ينبذن من قول يصبن به ... مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وقال عمر بن أبى ربيعة :

وكم من قتيل لايباء به دم ... ومن غلق رهنا إذا لفه منى

وكم مالىء عينيه من شىء غيره ... إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

يجررن أذيال المروط باسؤق ... خدال إذا ولين اعجازها روى

اوانس يسلبن الحليم فؤاده ... فياطول ماحزن وياحسن مجتلى ؟!

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ... ولاكليا لى الحج افتن ذا هوى

فى الشعر السياسى :—

لما أراد معاوية البيعة لابنه يزيد — وقد سمع مايكره — أوعز إلى مسكين الدارمى أن يقول أبياتا فى معنى المبايعة ليزيد حتى إذا كان مجلسه حافلا بوجوه بنى أمية أنشدها إياه فلمامثل بين يديه ويزيد عن

يمينه وأشراف الناس بين يديه قال :

ان أدع مسكينا فانى من معشر من الناس أحمى عنهم وأذود
إليك أمير المؤمنين رحلتها تثير القطا ليلا وهن هجود
وهاجرة ظلت كأن ظباءها — اذا ماتقتها — بالقرون سجود
ألاليت شعرى مايقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد
بنى خلفاء الله مهلا فانما يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربى خلاه ربه فان أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد لكل أناس طائر وجدود
فلازلت أعلى الناس كعبا ولا تزل وفود تساميها إليك وفود
قدور ابن حرب كالجوابى وتحتها أثاف كأمثال الرئال ركود

فقال معاوية : ننظر فيما قلت يامسكين ونستخير الله . فلم يتكلم أحد إلا بالاقرار والموافقة

لما اشتد النضال بين على ومعاوية رضى الله عنهما فى أمر البيعة وكان عمرو بن العاص واليا على مصر حاول معاوية أن يستميله اليه ضد على فقال عمرو ماتجعل لى إن شايعتك على حربه وأنت تعلم مافيه من الغرر والخطر ؟ قال : حكمك : قال عمرو : مصر طعمة فتلكأ معاوية وحاول أخوه عتبة أن يقنعه بأن يشترى عمرا بمصر فأسمعه :—

أيها المانع سيفا لم يهز إنما ملت على خز وقز
أعط عمرا إن عمرا تارك دينه اليوم لدينا لم تحز
يالك الخير فخذ من دره شخبه الأول وابعد ماغرز

أعطـه مصرا وزده مثلها إنما مصر لمن عز فبز
واترك الحرص عليها ضلة واشبب النار لمقرور يكز
إن مصرا لعلى ، أو لنا تغلب اليوم عليها من عجز

فأعطى معاوية مصر إلى عمرو وكتب اليه كتابه بذلك !!

وأنشد النعمان بن بشير الخزرجي الأنصاري الصحابي بين يدي معاوية يتهدده تلقاء هجاء الأخطل للأنصار في قوله : ذهبت قريش الخ بايعاز من يزيد بن معاوية — فقال : —

معاوي ألا تعطنا الحق تعترف لحى الأزد مسدولا عليها العمائم
أيشتمنا عبد الأرقم ضلة فما الذي يجدى عليك الأراقم؟
فمالى ثأر دون قطع لسانه فدونك من ترضيه عنك الدراهم
وراع رويدا لاتسمنا دنية لعلك في غب الحوادث نادم
متى تلق منا عصبة خزرجية أو الأوس يوما تخترمك المخارم
وتلقاك خيل كالقطا مستطيرة شماطيط ارسال عليها الشكائم
يسومها العمران: عمرو بن عامر ، وعمران حتى تستباح المحارم
ويبدو من الخود العزيزة حجلها وتبيض من هول السيوف المقادم
فتطلب شعب الصدع بعد التئامه فتغريه فالآن والأمر سالم؟

— وقال كعب بن جعيل شاعر الشام وتمثل به معاوية في رده على كتاب لعلى

أرى الشام تكره ملك العراق وأهـل العراق له كارهينا
وكل لصـاحبـه مبغضا يرى كل من كان من ذاك دينا

أعطـــه مصرا وزده مثلهـــا · إنمـــا مصر لمن عز فبز
واترك الحرص عليها ضلة · واشبب النار لمقرور يكز
إن مصرا لعلى ، أو لنا · تغلب اليوم عليها من عجز

فأعطى معاوية مصر إلى عمرو وكتب اليه كتابه بذلك ! !

وأنشد النعمان بن بشير الخزرجى الأنصارى الصحابى بين يدى معاوية يتهدده تلقاء هجاء الأخطل للأنصار فى قوله : ذهبت قريش الخ بايعاز من يزيد بن معاوية — فقال : —

معاوى ألا تعطنا الحق تعترف · لحى الأزد مسدولا عليها العمائم
أيشتمنا عبد الأرقم ضلة · فما الذى يجدى عليك الأراقم؟
فمـــالى ثأر دون قطع لسانه · فدونك من ترضيه عنك الدراهم
وراع رويدا لاتسمنا دنية · لعلك فى غب الحوادث نادم
متى تلق منا عصبة خزرجية · أو الأوس يوما تخترمك المخارم
وتلقاك خيل كالقطا مستطيرة · شماطيط ارسال عليها الشكائم
يسومها العمران: عمرو بن عامر ، · وعمران حتى تستباح المحارم
ويبدو من الخود العزيزة حجلها · وتبيض من هول السيوف المقادم
فتطلب شعب الصدع بعد التئامه · فتغريه فالآن والأمر سالم؟

وقال كعب بن جعيل شاعر الشام وتمثل به معاوية فى رده على كتاب لعلى

أرى الشام تكره ملك العراق · وأهـــل العراق له كارهينا
وكل لصـاحبـه مبغضا · يرى كل من كان من ذاك دينا

إذا ما رمونا رميناهم ودناهم مثل ما يقرضونا
فقالوا على امام لنا فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا له فقلنا ألا لانرى أن ندينا
ومن دون ذلك خرط القتاد وطعن وضرب يقر العيونا

فرد عليه على بما أجابهم به شاعر العراق ، قيس بن عمرو النجاشى

دعا يامعاوى مالن يكون فقد حقق الله ما تحذرونا
أتاكم على بأهل العراق و أهل الحجاز فما تصنعون
على كل جرداء خيفانة وأجرد نهد يسر العيونا
عليها فوارس مخشية كأسد العرين حمين العرينا
يرون الطعان خلال العجاج وضرب الفوارس فى نقع دينا
وآلوا يمينا على حلفة لنهدى الى الشام حربا زبونا
تشيب النواهد قبل المشيب وتلقى الحوامل منها الجنينا
فان تكرهوا الملك ملك العراق فقد رضى القوم ماتكرهونا
فقل للمضل من وائل ومن جعل الغث يوما سمينا
جعلتم عليا وأشياعه نظير ابن هند أما تستحونا ؟
إلى أفضل الناس بعد الرسول وصنو الرسول من العالمين
وصهر الرسول ومن مثله إذا كان يوم يشيب القرونا ؟

# الشعراء

ليست هذه الأحاديث عن هؤلاء الشعراء الذين سنحدثك عنهم تراجم دراسية وبحوثا تحليلية تساير مهيعنا فى البحث عن الخطباء وتراجمهم ، وانما هى نبذ عن كل شاعر تعرفك به تعريفا محدودا طبقا لما تطلبه المنهاج الدراسى ، ولعلها توقظ فى نفسك الشوق الى الدراسة الوافية عند سنوح الفرصة لك فان زينة الفنون الأدب وقيمة العلوم فى حسن الأداء وجلال البيان .

## (١) حسان

شاعر قحطان فى الأسلام وشاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى صلى الله عليه وسلم فى النبوة وأشعر أهل المدر والقرى باجماع النقاد ، ورث الشعر عن أبيه . وورثه أبوه عن جده ، فهو من أعرق بيوت العرب فى الشعر .

نسبه ومولده : هو حسان بن ثابت بن المنذر ، النجارى الخزرجى أبا وأما ، وبنو النجار أخوال النبى صلى الله عليه وسلم نصروا الاسلام بعد أن ألف الله بين قلوبهم ، وقد كانت بينهم فى الجاهلية حروب طاحنة شهدها حسان ، فكان فيها شاعر الخزرج قبيلته ينافح عنها بشعره وصار بعد هداية الاسلام شاعره وشاعر الأنصار

ولد حسان فى يثرب قبل الهجرة بنحو ستين سنة فعاصر فحول الشعراء واجتمع بهم ، وأنشد بين أيديهم ، وشهدوا له بالبراعة ، وقصته

بسوق عكاظ مع النابغة الذبيانى والخنساء والأعشى مشهورة معروفة

نشأته : نشأ حسان ومن حوله فرسان الشعراء يصولون بألسنتهم ويجولون فى كل ميدان ، فكان عدة قومه ، ومفخرة قبيلته يسعفهم بلسانه ، ويذود عنهم ببيانه ، فرنوا إليه يستلهمونه وحى القريض ، يلذع أعداءهم ، ويشيد بأحسابهم ، حتى إذا جاء الهدى وشع نور النبوة المحمدية دلف إلى صاحب الدعوة سراعا ، فأسلم عن عقيدة خالصة ، ونفس مطمئنة ، وكان لسان صدق فى الدفاع عن دينه ونبيه ، يرمى قريشا بكل قاصمة ، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : (اهجهم فوالله لهجاؤك أشد عليهم من رشق السهام فى غلس الظلام) .

وقد اتصل فى جاهليته بملوك المناذرة فى الحيرة ، والغساسنة فى الشام فمدحهم ونال جوائزهم ، وقد أصفى كثيرا من مدائحه آل جفنة فأجزلوا له العطاء ، وأغدقوا عليه الجوائز التى ظل يعيش منها حتى فرض له الخلفاء عطاء من بيت المال ، وعاش الى زمن معاوية حيث توفى عن ١٢٠ سنة فى سنة ٥٤ هـ

شعره : إذا أجلت النظر فى شعر حسان وجدته قد تناول جميع الفنون التى عرفت فى الجاهلية والاسلام ، وضرب فى حزن الشعر وسهله ، وخاض جميع أغراضه حتى استولى على الأمد ، وأوفى على الغاية ، ولا سيما فى المدح والهجاء والفخر والوصف ؛ وشعره فى الجاهلية أجزل وأفخم منه فى الاسلام ، وهو فى الاسلام أسلس وأعذب وأصدق . فاسمع قوله

فى جاهليته يمدح آل جفنة ويصف الخمرة ويفتخر بنسبه .

لله در عصابة نادمتهم ... يوما بجلق فى الزمان الأول
يمشون فى الحلل المضاعف نسجها ... مشى الجمال الى الجمال البزل
الضاربون الكبش يبرق بيضه ... ضربا يطيح له بنان المفصل
والخالطون فقيرهم بغنيهم ... والمنعمون على الضعيف المرمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

الى أن يقول فى وصف الخمر والفخر

ولقد شربت الخمر فى حانوتها ... صهباء صافية كطعم الفلفل
يسعى على بكأسها متنطف ... فيعلنى منها وإن لم أنهل
ان التى ناولتنى فرددتها ... قتلت — قتلت — فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطنى ... بزجاجة أرخاهما للمفصل
بزجاجة رقصت بما فى قعرها ... رقص القلوص براكب مستعجل
نسبى أصيل فى الكرام ومذودى ... تكوى مواسمه جنوب المصطلى
ولقد تقلدنا العشيرة أمرها ... ونسود يوم النائبات ونعتلى
ويسود سيدنا جحاجح (١) سادة ... ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الأمر المهم خطابة ... فيهم ونفصل كل أمر معضل
وتزور أبواب الملوك ركابنا ... ومتى نحكم فى البرية نعدل

ومن هجائه المر وحسن تصرفه ولطف مدخله ماقاله فى أبى سفيان

---

(١) الجحجاح : المسارع في المكارم

ابن الحرث بن عبد المطلب وقد استل الرسول عليه السلام منه كما تسل الشعرة من العجين .

لقد علم الأقوام أن ابن هاشم

هو الغصن ذو الأفنان لا الواحد الوغد

ومالك فيهم محتد يعرفونه ... فدونك فالصق مثل ما الصق القرد

وأبلغ أبا سفيان عنى رسالة ... فمالك من إصدار عزم ولا ورد

وإن سنام المجد من آل هاشم ... بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

وما ولدت أبناء زهرة منهم ... كرام ولم يقرب عجائزك المجد

ولست كعباس ولا كابن أمه ... ولكن هجين ليس يورى له زند

وأنت زنيم نيط فى آل هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وله فى الفخر بنفسه وقومه قوله :

وأبقى لنا مر الحروب ورزؤها ... سيوفا وأدراعا وجمعا عرمرما

لنا حاضر فعم وباد كأنه ... شماريخ رضوى عزة وتكرما

متى ماتزنا من معد بعصبة ... وغسان نمنع حوضنا أن يهدما

إذا استدبرتنا الشمس درت متوننا ... كأن عروق الجوف ينضحن عندما

ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق ... فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

ألسنا نرد الكبش عن طية الهوى ... ونقلب مران الوشيج محطما ؟

وكائن ترى من سيد ذى مهابة ... أبوه أبونا وابن أخت ومحرما

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما